

مقياس قضايا تربوية معاصرة

المحاضرة الأولى: بيداغوجية المقاربة بالكفاءات

من إعداد: د. شافية بن حفيظ.

تمهيد: بيداغوجية المقاربة بالكفاءات أسلوب تربوي وتعليمي ناتج عن التطور الحاصل في مجال التربية والتعليم في عصرنا، وتتحدد هذه المقاربة بمجموعة من المبادئ والقيم والمناهج و تتطلب وسائل وأدوات متطورة، كما يفرز هذا الأسلوب آثارا ونتائج على الفرد والمجتمع، كل هذا في إطار الأسس التي تقوم عليها التربية المعاصرة وفلسفتها. ونظرا لما تعانيه المنظومة التربوية الجزائرية من مشكلات، كالتراجع الكبير في المستوى النوعي للتعليم على أساس المعطيات الكمية، وما عرفه قطاع التربية من تسرب وفشل مدرسين من جهة، ونظرا للاهتمام العالمي المتزايد للتربية والتعليم في ظل الانفجار المعرفي والتقدم التكنولوجي الحاصل والذي أصبح يفرض نفسه بقوة من جهة أخرى، أصبح من المهم جدا على الجزائر الإسراع في تغيير أساليب التدريس والتكوين، وتحوير المضامين والمناهج الدراسية وذلك بتطبيق مشروع استراتيجية التدريس المقاربة بالكفاءات.

1- تعريف المقاربة بالكفاءات:

المقاربة: المقاربة في اللغة تعني الاقتراب والدنو أما في الاصطلاح فتعني تصور وبناء مشروع عمل قابل للإنجاز في ضوء خطة تأخذ في الحسبان كل العوامل المتداخلة في تحقيق الأداء الفعال والمردود المناسب (الأهداف، الطريقة، الوسائل، المعارف، خصائص الطفل، الوسط الزمان، المكان...).

فالمقاربة تعني الخطة الموجهة لنشاط ما، مرتبط بتحقيق أهداف معينة، في ضوء استراتيجية تربوية تحكمها جملة من العوامل، والمؤثرات تتعلق بثلاث عناصر أساسية هي:

1- المدخلات (المنطلقات)، 2-الفعاليات(العمليات)، 3-المخرجات (وضعيات الوصول).

(رمضان ومحمد، 2004، ص69)

الكفاءة: أما الكفاءة فتعني في اللغة الأجنبية La Compétence ، فالمقصود به هو مجموع المعارف، والقدرات والمهارات المدمجة، ذات وضعية دالة، والتي تسمح بإنجاز مهمة، وبالرجوع إلى اللغة العربية فهي مصدر من كفاً أو كفى كفاً، يكفاً، كفى يكفي" يقصد به الحالة التي يكون بها الشيء مساويا لشيء آخر وهي القدرة على العمل وحسن تصريفه وهي القدرة على الأداء والانجاز الكفاء.

(محمد الصالح، 2002، ص42).

فالكفاءة هي "مجموعة من القدرات المدمجة التي تسمح بكيفية تلقائية بإدراك وضعية معينة وفهمها، والاستجابة لها بشكل أقل أو أكثر ملائمة" (بوسمان، 2005، ص ص 9-10).

وفي تعريف آخر للكفاءة بأنها: " شبكة المكونات المعرفية والوجدانية والاجتماعية والحس حركية وتطبيقها داخل فئة من الوضعيات وتوجهها نحو غاية محددة.

(عز الدين وعبد الكريم، 2005، ص ص 11-12)

المقاربة بالكفاءات: تعني البيداغوجيا التي تعمل على تمكين المتعلم من اكتساب المعرفة والكفاءة والشخصية المتوازنة الفاعلة المنفصلة للوصول به إلى نموذج المواطن الإيجابي الذي يبني ذاته ويؤسس لها موقعا في المجتمع والعالم(حابي، 2005، ص76).

وكما تعبر عن بيداغوجيا وظيفية تعمل على التحكم في مجريات الحياة بكل ما تحمله من تشابك في العلاقات وتعقيد في الظواهر الاجتماعية، ومن ثم، فهي اختيار منهجي يمكّن المتعلم من النجاح في هذه الحياة على صورتها، وذلك بالسعي إلى تثمين المعارف المدرسية وجعلها صالحة للاستعمال في مختلف مواقف الحياة(حابي، 2005، ص 11). ومما تقدم فالمقاربة بالكفاءات تعبر عن الاستراتيجية التي من خلالها تسعى إلى تعليم التلميذ الاعتماد على نفسه والتعرف على قدراته الكامنة و كيفية توظيفها في حياته التعليمية والاجتماعية والمهنية.

2- مبررات تبني استراتيجية التدريس المقاربة بالكفاءات في النظام التربوي الجزائري:

يشكل إصلاح النظام التربوي الجزائري الجديد إصلاحا شاملا، بحيث مس كل مكونات المنظومة التربوية من أهداف وسياسة تعليمية عامة إلى المجالات البيداغوجية والتنظيمية التي شهدت هي الأخرى تحولات كبيرة، وقد حدد "فريد عادل" بصفته مدير التعليم الأساسي بوزارة التربية الوطنية، مبررات الإصلاح التربوي الجديد، خاصة ما تعلق منه بالمناهج الدراسية في العناصر التالية:

- انتقال البلاد من نظام سياسي أحادي إلى التعددية الحزبية و إلى نظام ديمقراطي.
- انتقال البلاد من نظام اقتصادي ممرکز إلى نظام الاقتصاد الحر.
- التدهور المستمر لمستوى المتعلمين و نتائجهم.
- عموما يمكن حصر أبرز مبررات تبني هذه الاستراتيجية فيما يلي:
- مواكبة التطورات الحاصلة في الجانب البيداغوجي خاصة ما يتعلق منها بمقاربات بناء المناهج.
- الحاجة إلى تصميم مناهج جديدة تحقق الحاجات الجديدة للمجتمع التي حصلت على كافة المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.
- ضرورة الانفتاح على العالم بحكم التغيرات الحاصلة في العلاقات مع الآخر خاصة مع بروز وسائل الاتصال الحديثة فضائيات والانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي وغيرها.

(عادل، 2001)

3- أهداف استراتيجية التدريس عن طريق المقاربة بالكفاءات: تعمل المقاربة بالكفاءات على تحقيق

جملة من الأهداف نذكر منها:

- إفراح المجال أمام طاقات وقدرات المتعلم الكامنة، لتظهر وتتفتح وتعبر عن ذاتها.

- تدريبه على كفاءات التفكير المتشعب، والربط بين المعارف في المجال الواحد والاشتقاق من الحقول المعرفية المختلفة عند سعيه إلى حل مشكلة أو مناقشة أو مواجهة وضعية.
- ربط التعليم بالواقع والحياة.
- استخدام أدوات منهجية ومصادر تعليمية متعددة مناسبة للمعرفة التي يدرسها وشروط اكتسابها.
- القدرة على تكوين نظرة شاملة للأمور وللظواهر المختلفة التي تحيط به.
- العمل على تحويل المعرفة النظرية إلى معرفة نفعية.
- تساهم في تحقيق النجاح لأكثر عدد من المتعلمين. (حابي، 2005، ص22)
- 4- **مبادئ استراتيجية التدريس عن طريق المقاربة بالكفاءات:** تقوم بيداغوجية المقاربة بالكفاءات على جملة من المبادئ نذكر منها:
 - **مبدأ البناء:** أي استرجاع التلميذ لمعلوماته السابقة، قصد ربطها بمكتسباته الجديدة وحفظها في ذاكرته الطويلة.
 - **مبدأ التطبيق:** يعني ممارسة الكفاءة بغرض التحكم فيها، بما أن الكفاءات تُعرف عند البعض على أنها القدرة على التصرف في وضعية ما، حيث يكون التلميذ نشطاً في تعلمه.
 - **مبدأ التكرار:** أي تكليف المتعلم بنفس المهام الإدماجية عدة مرات، قصد الوصول به إلى الاكتساب العميق للكفاءات والمحتويات.
 - **مبدأ الإدماج:** يسمح الإدماج بممارسة الكفاءة عندما تُقرن بأخرى، كما يتيح للمتعلم التمييز بين مكونات الكفاءة والمحتويات، ليدرك الغرض من تعلمه.
 - **مبدأ الترابط:** يسمح هذا المبدأ لكل من المعلم والمتعلم بالربط بين أنشطة التعليم وأنشطة التعلم وأنشطة التقويم التي ترمي كلها إلى تنمية الكفاءة.
- (شرقي وبوساحة، 2011، ص56)
- 5- **مزايا استراتيجية التدريس عن طريق المقاربة بالكفاءات:** تكمن مزايا استراتيجية التدريس عن طريق المقاربة بالكفاءات في تحقيق الأغراض الآتية:
 - **تبني الطرق البيداغوجية النشطة والابتكار:** من المعروف أن أحسن الطرائق البيداغوجية هي تلك التي تجعل المتعلم محور العملية "التعليمية-التعلمية"، والمقاربة بالكفاءات ليست معزولة عن ذلك، إذ أنها تعمل على إقحام المتعلم في أنشطة ذات معنى بالنسبة إليه، منها على سبيل المثال "إنجاز المشاريع وحل المشكلات" ويتم ذلك إما بشكل فردي أو جماعي.
 - **تحفيز المتعلمين على العمل:** يترتب عن تبني الطرق البيداغوجية النشطة، تولد الدافع للعمل لدى المتعلم، فتخف أو تزول كثير من حالات عدم انضباط التلاميذ في القسم، ذلك لأن كل واحد منهم سوف يكاف بمهمة تناسب وتيرة عمله، وتتماشى وميوله واهتمامه.

- تنمية المهارات وإكساب الاتجاهات، الميول والسلوكيات الجديدة: تعمل المقاربة بالكفاءات على تنمية قدرات المتعلم العقلية (المعرفية)، والعاطفية (الانفعالية) و"النفسية-الحركية"، وقد تتحقق منفردة أو متجمعة.

- عدم إهمال المحتويات (المضامين): إن المقاربة بالكفاءات لا تعني استبعاد المضامين، وإنما سيكون إدراجها في إطار ما ينجزه المتعلم لتنمية كفاءاته، كما هو الحال أثناء إنجاز المشروع مثلا.

- اعتبارها معيارا للنجاح المدرسي: تعتبر المقاربة بالكفاءات أحسن دليل على أن الجهود المبذولة من أجل التكوين تؤتي ثمارها وذلك لأخذها الفروق الفردية بعين الاعتبار.

(سعيد، 2008، ص42)

6- صعوبات تطبيق استراتيجية التدريس عن طريق المقاربة بالكفاءات في النظام التربوي

الجزائري: توجد صعوبات كثيرة تعترض تطبيق استراتيجية التدريس عن طريق المقاربة بالكفاءات ولاسيما في التعليم الابتدائي، من هذه الصعوبات ما يرجع إلى عدم التحضير الكافي للشرع في تطبيق هذه المقاربة ولاسيما البيئة المطبقة فيها، ومنها ما يعود إلى صعوبة فهم المقاربة في حد ذاتها وبهذا سنقف على أهم هذه الصعوبات في ما يلي:

- على مستوى تكوين الأساتذة: نأخذ بذلك بعين الاعتبار كفاءته المعرفية والبيداغوجية واطرافه إلى قدرته على البحث، فالأولى تتعلق بكل ماله صلة بالتكوين التخصصي أي في المادة العلمية التي يدرسها وتطرح هذه المشكلة خصوصا في المرحلة الابتدائية لأنه غير متخصص في مادة محددة فهو المسؤول عن تدريس كل المواد وبهذا يجد صعوبة ويعجز عن التدريس بالمستوى اللازم إذا لم يكن تكوينه متينا، وهذا بالطبع لوجود ارتباط وثيق بين كفاءة الأستاذ ونتائج المتعلمين الدراسية، أي كلما كان الأستاذ كفي كلما كانت نتائج المتعلمين مقبولة.

أما الكفاءة البيداغوجية تستند على جانبين أساسيين هما فهم المتعلم والتحكم البيداغوجي أي فهم خصائص المتعلم الذهنية والعضوية والانفعالية في المرحلة التي يدرس فيها وكذلك حسن استخدام الدعائم البيداغوجية من عنصر تشويق وتوظيف الوسائل التعليمية المناسبة وغيرها، أما فيما يخص قدرة الأستاذ على البحث يجب عليه مواكبة المستجدات في ميدان التربية خصوصا في ظل تعقيد المعارف مما يتطلب عليه جهدا مستمرا لكي يحسن أداءه البيداغوجي.

- على مستوى التقويم: أغلب الصعوبات التي يواجهها الأساتذة في ظل هذه المقاربة تكمن في صعوبة التقويم نظرا للتعقيدات المرتبطة به الناتجة عن ضعف تكوين الأساتذة في هذا المجال.

عموما يمكن حصر صعوبات تطبيق هذه المقاربة في النظام التربوي الجزائري في التالي:

- عدم فهم الخلفية النظرية لهذه المقاربة.

- عدم التفرقة بين هذه المقاربة والمقاربة بالأهداف حيث مزال الكثيرين يقدمون الدروس دون تغيير في كيفية التقديم أو التكيف مع متطلبات المقاربة بالكفاءات خصوصا في ظل انعدام الوسائل أو عدم تحكم في الوسائل التعليمية وتنويعها والبيئة المشجعة...
- الصعوبات الكبيرة في تطبيق أساليب التقويم المناسب.
- عدم القدرة على التخلص من الأنماط التقليدية القائمة على المذكرات والمواضيع الجاهزة، إلى أساليب أكثر مرونة وملائمة مع كل موقف تعليمي.
- مشكلة الاكتظاظ في القسم (لخضر، 2011، ص ص 86-87).

المراجع:

- لخضر، لكل (2011) المقاربة بالكفاءات الجذور والتطبيق، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الرابع، عدد خاص حول ملتقى التكوين بالكفايات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 18/17 جانفي، ص ص 86-87).
- سعيد، جابر (2008) دليل التربية العملية، شعبة الدراسات الاجتماعية (مشروع تطوير التربية العملية) -كلية التربية - جامعة المنوفية -مصر ، ص 42.
- شرقي، رحيمة وبوساحة، نجاه (2011) بيداغوجية المقاربة بالكفاءات في الممارسة التعليمية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الرابع، عدد خاص حول ملتقى التكوين بالكفايات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ص 59.
- حابي، فريد (2005) بيداغوجيا التدريس بالكفاءات الأبعاد والمتطلبات، دار الخلدونية، الجزائر، ص 76.
- عز الدين، الخطابى وعبد الكريم، غريب- جواكيم، دولز وآخرون (2005) لغز الكفايات في التربية، ط1، منشورات عالم التربية- الدار البيضاء، المغرب، ص ص 11-12.
- بوسمان، كريستان وآخرون (2005) أي مستقبل للكفايات، ترجمة: عبد كريم غريب، منشورات عالم التربية-دار البيضاء، المغرب، ص ص 09-10.
- محمد الصالح، حثروبي (2002) المدخل إلى التدريس بالكفاءات، ط2، شركة الهدى، الجزائر، ص 42.
- رمضان، أرزبل ومحمد، حسونات (2004) نحو استراتيجية التعلم بالمقاربة بالكفاءات، المعالم النظرية للمقاربة ج1، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، ص 69.